ملامح من النشاط العلمي في الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة خلال مواسم الحج والزيارة في العصر العباسي الأول 132هـ- 232/749-847م

اعداد الدكتور /محمد بن منصور الحاوي
الأستاذ المشارك بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد
1347/2016م

ملخص:

شهد الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة خلال العصر العباسي الأول(132هـ- 232/749-847م) حركة علمية مزدهرة, إذ أسهمت وفود العلماء للحج والعمرة في عقد حلق العلم ومجالسه, فأقبل الطلبة على هؤلاء العلماء دراسة وتعلّما , وحفظاً لمتون العلوم من حديث وتفسير وفقه وعربية وغيرها , الأمر الّذي أدى الى أن يصبح الحرمان الشريفان في هذا الوقت موئلا لنشاط علمي كبير, ومصدراً من مصادر العلم والمعرفة.

Abstract

Witnessed deprivation Aharifan and the holy sites during the Abbasid I (132 e 232 / 749-847m) flourishing scientific movement , as it contributed to the delegations of scientists for the Hajj and Umrah in the contract shaved science and boards , turned to students to these scientists study and learning , and preserved for embedded science of modern interpretation and jurisprudence and Arab and others, which led to becoming deprivation Aharifan at this time habitat for a large scientific activity , and a source of knowledge and science

المقدمة:

أدت مكانة الحرمين الشريفين في نفوس المسلمين قاطبة، وكونه مهوى أفئدتهم و قبلتهم على حدٍ سواء , الى أن يُهرعوا إليه مخبتين خاشعين تملأُ قلوبهم اللهفة, وتجللّهم محبة البيت العتيق فهم ما بين طائف قضى شعائر مناسكه ورحل , وما بين مجاور عقد العزم على المجاورة في تلك البقعة المقدسة زمناً قد يطول وقد يقصر. وكلّ منهم كان بين طالب علمٍ وجدَ في حلقات العلم فرصة للتعلم والتفقه, وعالم ومحَدّث عقد مجالس العلم، وتصدّر في حلقاتها , وأقام الدروس، واجتمع بنظرائه على اختلاف مذاهبهم وتخصصاتهم العلمية فدارت المحاورات والمذاكرات , والمناظرات فكانت فرصة ثمينة لكلّ طالب علم , وقاصد معرفة ليتحلّق حولهم ،ويجثوَ على الرّكب في حلقاتهم , وينهل من علومهم ويغترف من معارفهم، وعليه فقد أسهمت مواسم الحج والعمرة في النشاط العلمي في الحرمين الشريفين , والمشاعر المقدسة , وكان اختلاف مشارب وانتماءات ومذهب هؤلاء العلماء وسيلة للتنوع المعرفي والثقافي، الأمر الذي أدّى الى أن يصبح الحرمان الشريفان من ثمّ مقصد طلبة العلم من أقطار

ديار الإسلام .وفي العصر العباسي الأول (132- 232هـ/847/749م) نشطت الحركة العلمية كثيراً في المدينتين المقدستين في أثناء مواسم الحج والعمرة خلال هذا العصر, وكانت عوامل عديدة أسهمت في هذا النشاط , إذ أتاح وفود العلماء , وطلبة العلم لتأدية المناسك أن يختصر الزمن والمسافات للقاء بين علماء المشرق والمغرب, في هذه البقعة المباركة, وأن يُتيح لطلبة العلم في المدينتين المقدستين , ومن أقطار العالم الاسلامي أن يلتقوا بهؤلاء العلماء , ويأخذوا عنهم , وينهلوا من معارفهم .

فأضحت هذه الأيام وما بعدها في زمن الحج والعمرة ملتقيات ثريّة بالعلم والتعليم , وحركة دائبة في المدينتين الشريفتين لحلقات العلم في فنونٍ شتى من العلوم والمعارف المختلفة , ومجالاً خصبا للمحاورات والمناظرات العلمية بين مختلف العلماء من أقطار البلاد الاسلامية وقت ذاك . وأتاحت لطلبة العلم أن يلتقوا بهذا الجمع الكبير من العلماء في بقعة واحدة , وهو ما لم يكن إلاّ في هذه الأماكن المقدسات والأيام المباركات . وهذه الدراسة تتبع بشيءٍ من الإيجاز ملامح هذا الحراك العلمي في الحرمين الشريفين , وفي المشاعر الحرام , خلال هذه المواسم. ومحاولةً لإلقاء بعض الضوء على النشاط العلمي السائد في هذا الوقت في الحرمين والمشاعر المقدسة , وأنّ هذه المواسم لم تكن مقصورة فقط على أداء الشعائر الدينية بل كانت محلّ نشاطٍ علمي كبير, وما ترتب على ذلك من حفظ متون العلم , ونشره بين المسلمين في أقطار العالم الاسلامي وقت ذاك ونقل علوم الشريعة على وجه الخصوص الى المسلمين في مشارق البلاد الاسلامية ومغاربها خلال هذا العصر ولأنّ الموضوع واسعٌ فقد اقتصرت على ملامح من هذه المظاهر , وجعلت الحرمين والمشاعر محور الدراسة غالباً. ومن ثم لم أتوسع في تشقيق العناوين والمباحث وإنّما اقتصرت على أهم الملامح التي أسهمت في هذا النشاط , وحرصت على الاستشهاد بالعديد من الأمثلة من بطون المظانّ التراثية الكثيرة مما وقع تحت يدي منها.

وقد قسمتُ هذه الدراسة الى عدد من المباحث حاولت من خلالها القاء أضواء على حلقات العلم ومجالسه في الحرمين الشريفين والمشاعر الحرام ,وتطرقت الى بيان أثر العلماء الوافدين والمجاورين, أو المنتمين للمدينتين الشريفتين في النشاط العلمي , وعقد حلقات العلم والمناظرات العلمية فيهما. وألمحت الى جوانب من استنساخ مصنفات العلم التي يفد بها هؤلاء العلماء, أو يؤلفها علماء الحرمين , فينصرف الطلاب الى استنساخها وتحملها ونشرها في بلدانهم. وختمت ذلك ببعض النتائج المستخلصة من الدراسة.

<u>مجالس العلم وحلقه في المسجد الحرام والمشاعر المقدسة</u> :

يغدو بيت الله الحرام والمشاعر المقدسة وخاصة في مواسم الحج والعمرة في حركة علمية دائبة ونشاط يموج بحلقات العلم ودروسه، وترى طلبة العلم وزوار بيت الله الحرام يتنقلون بين حلقة وأخرى، ويجلسون إلى هذا العالم تارة، وذاك الفقيه والمحدث آونة أخرى، يأخذون، ويتلقون أو يسمعون ويستملون، ينهلون من علومهم، ويتزودون من معارفهم ويستفتون عما أشكل عليهم من مناسكهم وأمور دينهم ودنياهم، ناهيك عما تميّز به حملة العلم من أهل مكة والمدينة، من قوّة إسناد، وصحة رواية، وهو ما يوضحه الخطيب البغدادي بقوله: >أصحّ طرق السُّنن ما يرويه أهل الحرمين،

مكة والمدينة، فإن التدليس فيهم قليل، والإشتهار بالكذب ووضع الحديث عندهم عزيز<[1]. وعندما سُئل عبدالرحمن بن مهدي عن أي الحديث أصح ؟ قال :>حديث أهل الحجاز<[2] .

ويؤيَد هذا القول بما نُقل عن كلّ من الأئمة، مالك، والشافعي، وعبدالرحمن بن مهدي وغيرهم رحمهم الله، من أنّ أصح الحديث هو حديث أهل الحرمين، حتى قالوا: >إذا جاوز الحديث هذين المكانين الشريفين ضعف<[3]. وكان لدعم بعض خلفاء بني العباس في العصر الأول من الخلافة وتشجيعهم نشر العلم، والقيام بكفاية العلماء وطلبة العلم، في بلاد الحرمين الشريفين ، وتغطية همومهم المعيشية وخاصة في مواسم الحج[4] أكبر الأثر في انصرافهم لطلب العلم، والتعليم ، فقد وُضعت لهم الأعطيات، والصدقات، والمرتبات التي فرّغتهم لطلب العلم، والإنصراف بكلّيتهم إليه تدريساً وتحصيلاً[5]، وعليه فقد نشطت الرحلة إلى هذين المكانين المقدسين، وأسهمت مواسم الحج والعمرة، وزيارة المسجد النبوي، وتلك المعالم، في حركة علمية زاخرة إبّان العصر العباسي الأول، وأصبحتا من ثمّ مقصد الطلبة، والراغبين في التحصيل العلمي والمعرفي من جيمع البلاد الإسلامية، فتراهم يلازمون شيوخ العلم في مجالسهم وحلقاتهم، ومنازلهم ، يأخذون عنهم ويقتدون بهم. ويتمثلون آدابهم ، وسلوكهم، يصحبهم شرف المكان وقداسته، فهم ما بين طالب حديث وفقه، أو قرآنٍ وتفسير وعربية، أو أدب وسير ومغاز أو غيرها من ضروب العلم الذي تحظى به هذه الحلقات والمجالس , وتتنوع بتنوّع المتصدرين فيها للتدريس، والتعليم سواء تلك الّتي تعقد عند أساطين المسجد الحرام، أو في ظلال الكعبة المشرفة، أو الصفا والمروة، أو تحت مظلة زمزم، أو في مسجد الخيف بمنى، أو في غيرها من المشاعر الحرام، التي يجلس فيها العلماء من فقهاء ومحدثين وغيرهم, ويعقدون دروسهم[6].

ومع أن حلقات العلم في المسجد الحرام والمشاعر المقدسة كانت قائمة في العصور التي سبقت العصر العباسي [7] الأول إلّا أنّها ازدهرت كثيراً خلال هذا العصر، إذ كان لوجود علماء أفذاذ في هذه الفترة، وظهور المذاهب الإسلامية الفقهية، ودعم الخلفاء والأمراء وتشجيعهم لهذا النشاط العلمي دور بارز في إذكاء حركة العلم وتنشيطه، وتنوع معارفه، واتجاهاته، وازدحام الحرم المكي خاصة

---

(1) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، خرّج أحاديثه صلاح عويضه، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1407هـ/1996م) ص 419.
(2) المصدر نفسه، ص 421.
(3) ا لمصدر نفسه .
(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء ، 290/9، بن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب) تحقيق طه الزيني، دار المعرفة، ص ص 142، 152، 156، وغيرها .
(5) الفاكهي ، أخبار مكة، 303/2، الفسوي، المعرفة والتاريخ تحقيق: أكرم العمري ، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1401هـ)، 139/1، أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، دار الكتب العلمية, 44/7-45.
(6) انظر على سبيل المثال : الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت)، 338/2، أبو نعيم، حلية الأولياء ، 93/10، ابن حنبل ، أحمد ، سؤلات أبي داود للإمام أحمد، تحقيق زياد منصور، مكتبة العلوم والحكم، ص 195، الخشني، قضاة قرطبة ، ص ص 53-54.
(7) انظر : النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي، للدكتور إبراهيم الجميح، إصدار دارة الملك عبدالعزيز ،الكتاب العاشر .

والمشاعر الحرام بهم في مواسم الحج وما بعده، فكلّ عالمٍ أو فقيهٍ، أو محدّثٍ، أو مفتيٍ قد تحلّق حوله طلبته، وقُصَّاده، يغترفون من علمه، وينهلون من معارفه[1].

ويزداد النشاط العلمي ، وتتعدد الحلقات والمجالس خاصة في مواسم الحج حتى إنّ الناظر وقت ذاك سيرى أنه قلّ أن تجد مكاناً ، أو إسطوانةً من أساطين المسجد، إلا وكان عندها حلقة أو مجلساً علمياً يتصدّره فقيه أومحدث أومفتى , ويعود هذا في ظنّي الى كثرة المرتادين للمدينتين في هذه المواسم الشريفة إذ يفدُ الطلاب الذين يجمعون بين أداء النسك ، وطلب العلم، وتحصيله على كبار الشيوخ في مكة .

وكان الكثير من هؤلاء الطلاب يهتبلون فرصة قدوم ودخول موسم الحج لشدّ الرحال إلى مكة تعبّداً، وإلى حلقات العلماء المحدثين والمشائخ للنهل من علومهم، والإغتراف من معارفهم وكنوزهم الثقافية . ولن تعجب إذا وجدت بعضهم قد خرج مسافراً إلى مكة المكرمة في أيام مواسم الحج ومقصده الأول الالتقاء بأحد المشهورين من العلماء والمحدثين أو الجلوس إليهم[2] . يؤكد ذلك ما رواه الذهبي وغيره في ترجمة الإمام العلامة سفيان بن عيينه[3] ت (198هـ/814م). وكان أحد أعلام علماء الحرم المكي الشريف ، قال : >كان طلبة العلم يحجّون، وما همّهم إلا لُقي سفيان، فيزاحمون عليه في الموسم، ازدحاماً عظيماً إلى الغاية وما ذلك إلا لإمامته، وعلوّ اسناده، وحفظه، وكان من بحور العلم<[4]. وقال غيره : >وكان غاية الناس وطِلبتهم، حتى تحدثوا أن الرّجل ليريد الحج، وما ينشط إلا إلى لقائه والرواية عنه<[5].

ولعلمه وفضله ، ولكونه عَلاَمَة بارزة في منظومة علماء مكة خلال العصر العباسي الأول لم يكن غريباً أن تجد حلقته في المسجد الحرام، وقد غصّت بطلاب العلم، ناهيك عن أنهم في المواسم يزدحمون عليه ازدحاماً شديداً، ولا يكتفون بذلك بل يلاحقونه إلى باب داره، وداخل منزله . ويتدافعون بالمناكب للولوج عليه والجلوس إليه والنهل من معين علمه وكريم سجاياه، خاصة أولئك الوافدين للحج والعلم من أقطار البلاد الإسلامية وقت ذاك، فتراهم ما بين قائم وجالس، ومستمع ومستمل، يكتبون عنه , ويستملون منه , ويحفظون ويعون ما يقوله ويُحدّث به رحمه الله[6].

---

(1) ابن عبدالبر ، جامع بيان العلم، ص 214، الفاكهي ، أخبار مكة، 182/2، الزجاجي ، مجالس العلماء، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الرفاعي، (الرياض ، 1403هـ/1983م)، ص52، الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، تحقيق : إحسان عباس، ط2، دار الرائد العربي (بيروت ، 1401هـ/1981م)،ص73، وغيرها.

(2) ابن الجوزي ، صفة الصفوة، تحقيق محمد خوري، دار المعرفة (بيروت ، 1405هـ/1985م)، 212/2.

(3) انظر ترجمته بتوسع عند الذهبي في سير أعلام النبلاء ، وتذكرة الحفاظ, وغيرهما.

(4) الذهبي ، تاريخ الإسلام، تحقيق عبدالسلام التدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت ، (حوادث سنوات ، 191-200هـ) ص 192.

(5) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض 210/1، يحيى بن معين ، كتاب التاريخ ، 79/1، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 247/7.

(6) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، 276/7، 293، 185/10، ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، 153/2.

ولأن ابن جريج[1] (ت: 155هـ/771م) كان عالم وقته، وهو أول من صنّف الكتب بمكة[2] . فقد كان مقصد طلبة العلم في مواسم الحج عموماً، وأدّت مكانته في علم الحديث وأسانيده إلى أن يكون مقصد الخاصّة من العلماء كذلك للأخذ والرواية عنه[3]. وكانت لبعض المحدثين حلقة علمية في فناء زمزم، يجلس إليه فيها طلبة العلم فيأخذون عنه[4]، كما كان لشهرة آخرين في مكة خلال هذه الفترة الزمنية أبلغ الأثر في ازدهار النشاط العلمي، وتعدد منابع العلم، واتضاح معالم عدد من العلوم الشرعية كالفقه والأصول وغيرها، ومنهم الإمام الشافعي (ت: 204هـ/819م) والذي كان غرّة الفقهاء المكيين خلال فترة مكوثه بها[5]، إذ كانت مكة المكرمة هي المكان الذي انطلقت منه شهرته حتى أصبح أحد أبرز الأئمة الأربعة إنتشاراً وتأثيراً، وكذلك كان الإمام سفيان الثـــــــــــوري (ت: 161هـ/777م) [6] المرجع والحجة في فقه الحجازيين[7] وكان يدرّس في الحرم المكي الشريف، فينثال عليه طلبة العلم العلم من كل مكان للتلقي ، والتعلّم، وكانت دروسه هذه سبباً في حمل مصنفاته ونشرها في بلدان أخرى مشرقاً ومغرباً[8].

ولو ذهبنا نستقصي أسماء هؤلاء العلماء الكبار الذين أثروا وأثّروا في النشاط العلمي بمكة من خلال حلقاتهم ودروسهم العلمية التي كانوا يعقدونها في أنحاء وجوانب المسجد الحرام وفي غيره لطال بنا الموضوع ، ويمكن أن نجمل بعضهم في إشارة سريعة يكفي فيها الإيجاز دون الإطناب للدلالة على تأثيرهم ودورهم في الحركة العلمية خلال العصر العباسي الأول بمكة . فمنهم :

- **أبو بكر الحميدي (ت 834/219م) . صاحب المسند، وكان محدث مكة وفقيها[9]، وكان يدرّس طلبة طلبة الحديث من كتابه[10] 0 وكذلك سعيد بن منصور صاحب السنن (ت 227/ 842م) . فقد كانت له مجالس وحلقات يحدّث فيها بمكة[11].**

---

(1) عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ، مولى بني أمية ، وعالم أهل مكة ، وكان أحد أوعية العلم. (ابن خلكان: وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت : 1970)، 163/3، والذهبي ، سير أعلام النبلاء 325/6.

(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات ، (141 – 160) ، ص 210.

(3) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ، 235/2، وأبو نعيم ، الحلية، 39/7.

(4) البيهقي ، أحمد بن الحسين ، مناقب الشافعي ، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث ، (القاهرة، (القاهرة، د.ت ، 210/1) .

(5) السنيدي ، عبدالعزيز ، الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ، (ط1، الرياض، 1424هـ/2003، ص 277) .

(6) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (95- 161هـ/777م) كان عالماً محدثاً فقيهاً زاهداً ورعاً. (ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص 20، ابن سعد، كتاب الطبقات، 488/7) .

(7) الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، 135/1، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 311/6.

(8) كان التلامذة يستملون ويكتبون ما يمليه شيوخهم ومنهم الإمام سفيان الثروي الذي أملى كتابه المسمى المسمى الجامع عليهم ، فكان أبو الحسن علي بن زياد العيسى التونسي هو أول من أدخل إلى المغرب كتاب الجامع. (المالكي ، عبدالله بن محمد ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ، تحقيق : بشير البكوش، راجعه : محمد العروسي المطوي ، دار الفكر الإسلامي ، (بيروت ، 1414هـ/1994م)، ص 234.

(9) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، حوادث ووفقيات 221-220هـ . ص 211.

(10) الفسوي، المعرفة والتاريخ ، 200/1.

(11) االذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 586/10 . والخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي ص 381.

- **والحافظ أبي عبدالله محمد بن يحيى العدني (ت 243هـ/857م) [1]. وكان شيخ الحرم ومحدث مكة في في عصره.**
- **ومسلم بن خالد المخزومي – مولاهم- المعروف بالزنجي المكي (ت180هـ/ 794م) أحد فقهاء الحجاز كانت له حلقة ، ودروس في إملاء الحديث – على الرّغم من ضعفه- فقد أخذ عنه جماعة منهم الشافعي وغيره[2].**
- **وأبو محمد الحسن بن علي بن الخلال (ت 242هـ/ 856م) وعُرف وشهر بأنه محدث مكة في زمنه[3]. وسعيد بن سالم القَداح (ت قبل 200م) خلف ابن جريج على الافتاء والتدريس[4] بمكة.**
- **وحلقة محمد بن جابر اليماني ، كانت له حلقة علمية في المسجد الحرام[5]، وحلقة سعيد بن عبدالرحمن المخزومي (ت 249هـ /863م) وكان يقرأ على طلبته من كتابه[6] كما يذكر الفاكهي. وكذلك القاضي سليمان بن حرب بن بجيل كان يعقد حلقات العلم بمكة وتُقرأ على الحاضرين أجزاء من كتبه[7] . الى غير ذلك من حلقات العلم التي يجلس فيها كثيرٌ من علماء ذلك الوقت سواء من أهل مكة أو ممّن اتخذها سكناً وموطناً من الوافدين عليها والمجاورين بها.**

ومع كثرة العلماء، وخاصة في مواسم الحج، كان المسجد الحرام يتراءى للناظر كخلية النحل، فالحلقات عديدة، والدروس مختلفة، فهم في ظلال الكعبة، أو الصفا والمروة، وأساطين المسجد[8] ، أو عند زمزم وغيرها[9] ، وطلبة العلم قد تحلقوا حولهم في تجمعات بأعداد قد تزيد وتقل بحسب مكانة العالم والمحدث، وشهرته، وقد يدرّس العالم الواحد في أكثر من علم وفنّ من فنون العلم وخاصة أولئك الجهابذة منهم[10].

---

(1) المصدر نفسه ، (حوادث ووفيات 241ه -- 250هـ) ص 482، وسيأتي تفصيل ذلك في العلماء الوافدين.
(2) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت 1404هـ / 1984م) 10/115-117.
(3) الوراكلي، حسن ، مظاهر المساهمة الأندلسية، ص 201.
(4) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 9/319، الفاسي ، العقد الثمين 4/206.
(5) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ، 6/148، العقيلي ، كتاب الضعفاء الكبير، 4/41-42.
(6) العقد الثمين ، 4/584.
(7) الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، 1/204.
(8) عُرفت الأساطين في المسجد الحرام وقت ذاك ، وقعد إليها عدد من العلماء حتى سميت بعضها بأسمائهم لكثرة جلوسهم إليها، ومنها اسطوانة سندول الهمداني وهو لقب العلامة محمد بن عبدالجبار القرشي، وكان عالماً ثقة حج نيفاً وأربعين حجة. (القزويني ، عبدالكريم بن محمد ، التدوين في أخبار قزوين، نشرته تصويراً مكتبة الرشد، عن طبعة حيدر آباد (الرياض، 1414هـ/1984م) 1/312-313.
(9) السمعاني ، محمد بن منصور التميمي ، أدب الإملاء والاستملاء ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1401هـ/1981م) ص 23، عياض ، ترتيب المدارك ، 1/139، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 2/38، 39، ابن عبد البر ، جامع بيان العلم، ص 214، الفاكهي ، أخبار مكة، 2/182 على سبيل المثال.
(10) كانت مجالس الشافعي – على سبيل المثال – يدور فيها أكثر من علم، كالحديث والفقه وأصوله، ولغة العرب وأشعارها وهكذا . البيهقي، مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث ، القاهرة، د.ت. 2/44-45، النووي تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)،

ولم يقتصر طلب العلم، ولا بذله من العلماء على حلقات المسجد الحرام، بل كانت المشاعر الحرام أيام الموسم تحفلُ بالعديد من الحلقات، وضروب طلب العلم، ولم يكن العلماء العاملون يأنفون من ملاحقة التلامذة المتعلمين، والمستفتين ، والمستملين لهم فكانوا يبذلونه لراغبيه ولا يستنكفون عن عقد المجالس العلمية في مشاعر منى، وعرفات، ومسجد الخيف، وغيرها من الأماكن التي تشهد أنشطة علمية متعددة ليس أقلها محاورات العلماء ومناظراتهم، وعرض بعضهم علمه وحديثه على بعض[1].

وكان طلبة العلم يقتنصون فرص الإنتهاء من تأدية النسك في المشاعر، وأيام منى فيقومون بزيارة العلماء والمحدثين في محل إقامتهم بالمشاعر، كمنى وعرفات، وغيرها ، فيأخذون عنهم، ويسألون عما استشكلوه من مسائل العلم وخفاياه، كما يستوضحون منهم ويستفتونهم في مسائل الحج والمناسك[2].

<u>حلق العلم في المسجد النبوي الشريف</u>

شهد المسجد النبوي نشاطاً علمياً كبيراً خلال هذه الفترة على غرار ذلك الذي في المسجد الحرام، وتعددت لذلك حلقات العلم . وكان وجود علماء ومحدثين بارزين من أبناء التابعين وأحفاد بعض الصحابة خاصة ممن يسكن المدينة النبوية سببا في شهرتها, وأن تضحى المدينة النبوية من ثمّ مركزاً لتدريس علوم عدّة استقطبت طلبة العلم من أهلها ومن الوافدين عليها الذين كانوا يجمعون بين تأدية سنة الزيارة للمسجد النبوي الشريف، والأنس بقرب المصطفى عليه الصلاة والسلام ,ولطلب العلم والأخذ فيه عن علمائها ومحدثيها[3].

ولمكانة المدينة النبوية عند المسلمين, ولكونها مركز الدولة الاسلامية الأولى فقد زخرت خلال صدر الاسلام والى النصف الأول من القرن الثالث الهجري(4) بالكثير من العلماء الذين أدركوا بعض الصحابة و التابعين وثلّةٌ من تابعيهم فنهلوا من معارفهم, وأخذوا عنهم علماً كثيراً ،وإن كان من عاش في القرن الثاني قد استفادوا من فريقٍ كبير من متأخري التابعين الذين نقلوا العلم عمن أدركوا من الصحابة ومن بعدهم ، ولذلك فقد امتاز القرن الثاني الهجري خاصة بهؤلاء العلماء الأعلام الذين أصبحت حلقاتهم العلمية ودروسهم مقصد الرحلة من طلبة العلم من كافة الفئات والبلاد وقت ذاك الذين كانوا يُيممون صوب المدينة النبوية بعد أن يقضوا تفثهم من مكة والمسجد الحرام.

.50/1

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، السنوات (121هـ - 140هـ)، تحقيق عبدالسلام تدمري، ص 452-453. البيهقي ، أحمد بن الحسين، مناقب الشافعي، تحقيق أحمد صقر، مكتبة دار التراث ، (القاهرة، د.ت 179/1-182، 207، 213-214).

(2) أبو زرعة الدمشقي ، تاريخ دمشق ، ص 116.

(3) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ط10، دار الكتاب العربي (بيروت ، د. ت) ، 75/2.

(4) يفهم مما أورده بعض العلماء أنّ النشاط العلمي بدأ يتناقص , ويقلّ وهجه فيهما خلال المائة الثالثة (أنظر على سبيل المثال: الذهبي,محمد بن احمد بن قيماز, الأمصار ذوات الآثار, حققه وعلّق عليه, محمد الأرناؤوط, دار ابن كثير(دمشق 1985م),ص: 16-20

ومن دلائل ازدهار حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف قول سفيان بن عيينة عندما رحل إلى المدينة سنة 132هـ/749م ، >جالستُ خمسين شيخاً من أهل المدينة< [1].

ونستشف من بعض ما ذكره عياض أن مجالس العلم وحلقاته كانت نشطة ومتعددة في جوانب المسجد النبوي يدلّ عليه ازدحام طلبة العلم وتحلقهم حول مشايخهم حتى كاد أن يكون عند كل اسطوانة من أساطين المسجد عالماً يدرس ، أو محدثاً يملي، أو مفتياً يُفتى[2] . ولذلك كانت المدينة النبوية في هذا الوقت أحد أهمّ مراكز العلم الشرعي[3].

وقد حفل المسجد النبوي بالعديد من حلقات التدريس والإقراء، التي قام عليها عدد من العلماء، والمحدّثين في فنون من العلم كثيرة، وكانت وجهةً لطلبة العلم على اختلاف مشاربهم وبلدانهم.

وكانت حلقة الإمام مالك بن أنس (ت/179هـ) من أشهر حلقات العلم وأحفلها بالطلاب في المسجد النبوي، وبلغ من شهرته ، ومكانته العلمية أنها كانت هدفاً لكل طالب علم، وزائر, ولا يرى أن رحلته قد اكتملت إلا إذا وفد إلى المدينة وجلس في حلقة الإمام مالك، وأخذ عنه، واستمع إليه، وحمل عنه كتابه الموطأ, ثم أكمل ذلك بالجلوس في حلقات العلم الأخرى(4).

وقد تعددت المجالس العلمية لتعدد فنون العلم ، ووجود كبار العلماء في أكثر من جانب من جوانب العلوم الشرعية والعربية وغيرها .

ففي القراءات كانت حلقة نافع بن أبي نعيم (ت 169هـ/ 813م) وهو أحد كبار القراء أصحاب القراءات السبع الصحيحة(5). هدفاً للراغبين في تعلم القراءات وإجادتها[6].

كما اشتهرت مجالس وحلقات أخرى في القراءات بعد نافع ومنها حلقة قالون (عيسى بن مينا) (ت 220هـ /832م) وكان أحد القراء السبعة المشهورين[7].

وفي التفسير كانت حلقات علماء المفسرين في المسجد النبوي في هذه الفترة قائمة ومشهورة ومن أشهر علمائه في المدينة عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ت 198هـ) وهو صاحب كتاب الناسخ والمنسوخ ، وكتاب التفسير ، وكان يُملى منهما في حلقاته ودروسه على طلبته ومريديه[8].

---

(1) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 162/9.
(2) ترتيب المدارك ، (ط وزارة الأوقاف ، المغرب ، 136/1، 140).
(3) الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، 438/1، 441، سعد الموسى، تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري ، دار القاسم ، (الرياض ، 1428هـ) ص 118.
(4) الخطيب البغدادي ، الرحلة في طلب الحديث ، (صفحات عدة) ، المقدسي، أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم ص 236، أحمد أمين، ظهر الإسلام ، 197/1، الحميدي ، جذوة المقتبس ص ص 218، 382، أبو زرعة الدمشقي، تاريخه، ص 204، 237، على سبيل المثال ، ابن سعد ، الطبقات (القسم المتمم ، تحقيق زياد منصور، ص 372).
(5) ابن سعد ، القسم المتمم للطبقات ، تحقيق زياد منصور (دار الكتب العلمية)، ترجمة رقم 382، الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، 89/1.
(6) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 336/7، ومعرفة القراء الكبار 407/1، ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء، 113/2.
(7) الذهبي، المصدر نفسه ، 128/1.
(8) الداوودي ، طبقات المفسرين ، تحقيق علي عمر، مكتبة وهبه (القاهرة ، 1392هـ)، 265/1 .

وفي الحديث فقد شهد المسجد النبوي العديد من مجالس العلم وحلقات كبار المحدثين الذين أفادوا طلاب العلم وحملة الحديث ورواته ، فإلى جانب حلقة الإمام مالك بن أنس بجوار الروضة الشريفة(1)، كانت هناك حلقات عديدة لكبار المحدثين في المدينة استفاد منها طلاب العلم وحملة الحديث ورواته ومن هذه الحلقات ،حلقة يحيى بن سعيد الأنصاري(ت 134هـ/751م) (2) وحلقة يعقوب يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري (ت 208هـ/820م) وكان له مصنف جمع فيه ما رواه من الحديث ، وعُرفت بنسخة إبراهيم، ويقوم بالإملاء والقراءة منها على مرتادي حلقته بالمسجد النبوي(3) . كما كانت هناك حلقة علمية لمعن بن عيسى الأشجعي المدني (ت 198هـ /813م)، وكان أثبت اصحاب الإمام مالك وأوثقهم في الرواية , وقد تكون حلقته غير مشهورة لأن الإمام أحمد ذكر أنه لم يَكتب عنه, ناهيك عن اشتغاله أحيانا بتجارة القز, على الرغم من أنّه كان ثبتاً ثقة (4) ، وكانت حلقة عبدالرحمن بن أبي الزناد (ت174هـ) من الحلقات المشهورة في المسجد النبوي، ونظراً لكونه كثير الحديث عالماً فقد تقاطر طلبة الحديث على حلقته للاستملاء والقراءة ، وكان معروفاً بسعة صدره، وصبره على الطلبة ، كما كان رحيماً عليهم محتفياً بهم، الأمر الذي ساهم في اشتهار حلقته، والتفاف طلاب العلم حوله(5).

وكان لبكر بن خلف البصري (ت 210هـ /825م) حلقة بالمسجد النبوي يجلس فيها لطلبة العلم ويُملي عليهم(6).

وفي الفقه كانت حلقات بالمسجد النبوي مشهورة، خاصة وأن لفقهاء المدينة مدرستهم الفقهية المعروفة، والتي كانت تتخذ الحديث النبوي أصلاً ولذلك كان كبار الفقهاء هم أهل الحديث كمالك بن أنس ، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويحيى بن يحيى الليثي وغيرهم(7).

ومحمد بن عبدالرحمن بن المغيرة المشهور بابن أبي ذئب (ت159هـ) وكان فقيهاً عالماً مفتياً ، و مدرساً ومحدثاً، له حلقة يرتادها طلبة العلم(8).

وكان عبدالعزيز بن أبي حازم (ت 184هـ/800م) فقيهاً مشهوراً له حلقة علمية بالمسجد النبوي، يتسابق إليها طلبة العلم أيام الموسم خاصة، ويتزاحمون حوله سائلين ومتعلمين ومستملين (9) . ويكفي للدلالة على قدره ومكانته قول الإمام أحمد >لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه من عبدالعزيز بن حازم<(10).

---

(1) ابن حنبل ، سؤالات أبي داود ، ص 222.
(2) ابن سعد ، القسم المتمم للطبقات الكبرى ، تحقيق زياد منصور، ص 244.
(3) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 269/14، ابن حجر : تهذيب التهذيب ، 334/11، سزكين ، تاريخ تاريخ التراث ، ط (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض) ، 138/1.
(4) المزي ، يوسف بن الزكي، تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 1400هـ/1980م)، 339/28، ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، دار الفكر للطباعة والنشر، 1404هـ/1984م 226/10.
(5) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 416/5.
(6) ابن حنبل ، سؤالات أبي داود ، ص 237.
(7) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، 208/2.
(8) ابن سعد ، الطبقات ، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن يعدهم . تحقيق : زياد منصور، الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة ، 1403هـ)، ص414-421، الذهبي، سير أعلام النبلاء ، 147/7-149.
(9) الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، 428/1.
(10) ابن سعد ، الطبقات الكبرى، 424/5، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ,363/8 .

وللعالم الفقيه ربيعة الرأي (ت 136هـ/740م) حلقة بالمسجد النبوي يجلس فيها فيجتمع إليه طلبة العلم وشيوخه على حدٍ سواء نظراً لمكانته وعلمه، وقد تخرّج في هذه الحلقة جماعة من العلماء أصبحت حلقاتهم بعد ذلك مشهورة في المسجد النبوي الشريف ومنهم ابن أبي الزناد وغيره[1]. كما كانت لعبدالله بن نافع الصائغ (206هـ/821م) [2] وهو أحد كبار فقهاء المدينة، وأحد تلامذة مالك النجباء، دروس في المسجد النبوي استفاد منه الكثير من طلبة العلم ومنهم سحنون[3] ويحيى بن يحيى الليثي وغيرهما[4].

ومن العلوم التي اشتهرت بها المدينة النبوية، وكانت حلقات علمائها مقصد الطلبة، علم المغازي ، وهو علم نبت وترعرع وبسقت فروعه في المدينة النبوية ومن مشاهير هذا العلم في العصر العباسي الأول أبو معشر السندي، وكان عالماً بها حجة فيها حتى اضحى الحجة عند علماء هذا الشأن ، وكانت حلقته في المسجد النبوي مقصد طلاب المغازي[5].

وكان محمد بن إسحاق بن يسار (ت 153هـ/769م) أبرز علماء المغازي، ويجمع إليها رواية في الحديث ، وكان له مجلس في المدينة يجتمع الطلاب إليه للسماع والقراءة[6].

ويُعدّ الواقدي من كبار علماء المغازي المكثرين الذين كانوا مقصد المهتمين بمعرفة مغازي رسول الله ρ وأيامه، ولشهرته فقد كان بعض الخلقاء العباسيين عندما يصلون إلى المدينة عقب انتهاء موسم الحج يدعونه ليسمعوا منه، ويستوضحوا بعض حوادث هذه المغازي ، فقد روى ابن سعد أن الخليفة هارون الرشيد لما وصل إلى المدينة بعد قضاء حجة في إحدى السنوات طلب إلى خاصته أن يتعرفوا له أشهر علماء هذا الشأن في المدينة فدلوه على الواقدي[7].

ولم تكن حلقات العلم ومجالسه فقط في المسجد النبوي ، بل كانت هناك حلقات علمية تعقد في أماكن أخرى بجوار المسجد وخارجه ، يدلّ على ذلك ما رواه مفضل بن غسان، قال : >حضرت يزيد بن هارون في سنة ثلاث وتسعين ومائة بالمدينة وهو يحدّث بالبقيع ,وعنده ناسٌ من أهل المدينة يسمعون ..<[8].

---

(1) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 447/5، 91/6.

(2) هو عبدالله نافع بن أبي نافع المخزومي ، مولاهم ، ويعرف بالصائغ، كان من أبرز رواة موطأ مالك . (انظر: ترجمته في التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة،تحقيق عارف أحمد عبدالغني، وخالد السويدي، دار كنان للطباعة والنشر ، بيروت ، 385/1 وما بعدها :

(3) هو : سحنون بن سعيد بن حبيب ، أحد أشهر فقهاء المالكية بالمغرب العربي، كان له دور كبير في نشر المذهب المالكي في بلاده. توفي سنة 191هـ(ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر ، بيروت 180/3-182.

(4) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك,310/1, 393 ، ضبطه محمد سالم هاشم,(دار الكتب العلمية (بيروت,1989م).

(5) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 439/7.

(6) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 221/1، 225. ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، 34/9-40 0

(7) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 425/5-426.

(8) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 1 / 225 ,226 . والبقيع مسمى لبقعة كبيرة' وفي ذلك الوقت كان كان بعضه مقابر وبعضه خلاء قريب من المسجد النبوي. وليس بالضرورة أن تكون هذه المجالس داخل المقابر, وعليه فربما كان المقصود هنا هو بقعة من البقيع ليست فيها مقابر. و في القرن الثاني

وفود العلماء للحج والزيارة وأثرهم العلمي

كانت مواسم الحج وسيلة للعلماء لأداء حق العلم وأمانة إبلاغه لطالبيه ، وفي الوقت نفسه كانت فرصاً لطلبة العلم والباحثين عن الزاد المعرفي والثقافي يقتنصونها للجلوس إلى هؤلاء العلماء والأخذ عنهم، خاصة لمن كانت دياره بعيدة عن مراكز العلم وتواجد العلماء ، أو للذين لا يستطيعون الرحلة إلى العلماء في أقطار العالم الإسلامي وقت ذاك . لذلك كانت مواسم الحج من أهم ما يحرص عليه طالب العلم للإلتقاء بحملة العلم وشيوخه ، فيجتمع حينها العلماء والطلبة في هذه الأماكن والمشاعر المقدسة فتنشط حركة العلم والتعلُّم ، وهو بذلك يجمع بين أداء النسك وطلب العلم.

ولا يكاد يجتمع في مكان واحد من العلماء مثلما يجتمعون في مواسم الحج وعند زيارة المسجد النبوي ، وقلّ أن تجدهم بأعداد كبيرة إلا في هذين المكانين تحديداً . قال علي بن المديني لإبراهيم بن المنذر الخزامي وقد جاء يطلبه إخراج حديث الوليد بن مسلم إليه للاطلاع عليه والنقل منه كان قد كتبه عنه بالمدينة النبوية:«لأنّ الحجاج يجتمعون بالمدينة من الآفاق ، فيكون مع هذا بعض فوائده، ومع هذا شيء ...» [1]، إذ يكون أداء النسك وإقامة فريضة الحج دافعاً رئيساً لأن يلتقي في هذه البقعة الكثير من العلماء, وينقلون العلم بعضهم عن بعض, كما تكون فرصة لعرض المؤلفات والمصنفات , وهو ما يوفر – كما سبق القول- فرصة ثمينة لكل طالب علم، أن يرحل إلى مكة والمدينة لتحقيق هدفه بلقيا من يريد من كبار العلماء وأهل الحديث[2] . قال شعبة بن الحجاج رحمه الله (ت 160هـ/776م) «فرحلت إلى مكة لم أرد الحج وإنما أردت الحديث[3].

ولم يكن هؤلاء العلماء يبخلون بعلمهم على من يبتغيه فهم يعقدون حلق العلم ودروسه في مكة، والمشاعر الحرام، ويبذلونه لطالبيه[4].

فعندما حج الإمام الأوزاعي عام 150هـ/767م عقد دروس العلم في مكة والمشاعر الحرام ، وأملى الحديث ، وأخذ عنه طلبة العلم[5]. وأقبل طلبة الحديث على الإمام مسلم بن الحجاج – صاحب الصحيح – فقعد لهم وحدّثهم[6]. ولمّا حج الإمام مالك بن أنس التفّ الناس حوله يأخذون عنه المناسك . قال سفيان بن عيينة «حج مالك فضاق الطواف بالناس يأتمُّون به»[7]. والحال كذلك نجدها عندما حج

الهجري لم يكن حينها البقيع كلّه قد أصبح مقبرة (انور البكري, و حاتم طه, بقيع الغرقد, مكتبة الحلبي, (المدينة المنورة, 1424- 2004) ص 21, وما بعدها.

(1) الفسوي ، المعرفة والتاريخ 422/2 ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 214/9.

(2) ابن خير الإشبيلي ، فهرست ابن خير ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص 108.

(3) الخطيب البغدادي ، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1395هـ/ص 152.

(4) ابن معين ، التاريخ، تحقيق عبدالله أحمد حسن، دار القلم، (بيروت) ، 153/2، ابن خير الاشبيلي، فهرست ابن خير ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م، ص 108.

(5) ابن حنبل ، سؤالات أبي داود للإمام أحمد ، ص 169.

(6) الذهبي، سير أعلام النبلاء ، 311/14.

(7) عياض، ترتيب المدارك، 168/1 ، 170.

عبدالملك بن جريج (ت 150هـ/ 767م) فقد اجتمع عليه طلبة العلم في المشاعر، وتابعوه في كل منزل يأخذون عنه، ويستملون ويسألون[1] .

وكان للعلماء والفقهاء الذين يصطحبهم الخلفاء وأمراء الحج معهم عند خروجهم على رأس قوافل الحجاج من العراق إلى مكة والمدينة أثرهم العلمي البالغ، والذي يتجاوز محيط القافلة إلى جميع من يحضر موسم الحج حينها تعليماً وإفتاءً وتدريساً ، ناهيك عن النشاطات العلمية المتعددة التي يقومون بها في المشاعر الحرام والمدينتين المقدستين ، وأثناء الطريق، فكانوا كلما نزلوا منزلاً إجتمع عليهم أهله فأخذوا عنهم، واستفادوا منهم، وحسبك بهذه فضيلة عظيمة وأثراً كبيراً لهؤلاء العلماء رحمهم الله[2].

كما كان وفود العلماء للحج والعمرة فرصة ثمنية لأهل الحجاز خاصة إذْ يوفر عليهم مشقة الرحلة والسفر إلى هؤلاء العلماء في بلدانهم البعيدة عن مكة، فكانوا يسعون إلى كل من يفد في الموسم للحج أو للمدينة للزيارة ليأخذوا عنه ويتعلموا منه[3] ، وتظهر أهمية وفود هؤلاء العلماء الآفاقيين فيما فيما يحملونه من علم مختلف، وروايات غير معروفة، وأحاديث قد يكونون تفرّدوا بحملها وروايتها، ناهيك على أن الموسم يجمع علماء البلاد الإسلامية المترامية الأطراف بعضهم ببعض فيروي أحدهم عن الآخر ، ويعرض ما عنده على غيره، ويتخلل ذلك الحوار والمناظرة ، والمذاكرة ، فيكون في ذلك فوائد جمة لمن يحضر من طلبة العلم هذا إلى ان العلوم والمعارف تنتقل مع هؤلاء إلى بلاد أخرى حيث يحملها طلبة العلم، والوافدون من العلماء ، وينتج عن ذلك تبادل العلوم والمعارف، وتتمازج الثقافات والأفكار الآراء في نطاق بلاد الإسلام وقت ذاك[4].

ومن الأمثلة على ما سبق أنّه لمّا وفد صالح بن كيسان (ت 140هـ/ 757م) إلى مكة معتمراً جاءه سفياه بن عينه فسأله عن بعض الأحاديث[5].

ولمّا وفد معاوية بن صالح الحضرمي، فانكفأت عليه جميع الحلق بالحرم، وكذلك اجتمعوا على قتيبة بن سعيد بن جميل(ت 240هـ)، عندما دخل مكة فأخذوا عنه[6]. إلى غير ذلك من الأمثلة.

---

(1) سؤالات أبي داود للإمام أحمد ، ص 169.

(2) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك 26/7، 36، 35، 347/8 مثلاً الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 44/7 ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 71/3، 156 ، 114/116، 145، على سبيل المثال ، الذهبي ، ميزان الإعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر ، د. ت 36/1.

(3) ابن معين ، كتاب التاريخ ، 153/2 ، 68/3 (حديث رقم 264).

(4) المالكي، أبو بكر عبدالعزيز محمد ، رياض النفوس، ص 153-154، 180، 1/18، أبو زرعة الدمشقي الدمشقي ، تاريخه 296/1، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت، 1409هـ/1988م 370/3، 179/4، الخشني ، قضاة قرطبة، ص 56، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، 71/3، 156، 114/11، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 112/7، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط1، دار الفكر العربي ، 180/10.

(5) الفاكهي ، أخبار مكة ، 67/4.

(6) القزويني ، الخليل بن أحمد ، الإرشاد في معرفة علماء الحديث (من تجزئة السلفي، دراسة وتخريج ، ، محمد سعيد إدريس، مكتبة الرشد(الرياض، 1409هـ / 1989م)، 938/3.

ولأن هؤلاء العلماء يرون أنّ من أمانة العلم التي يحملونها أن يبذلونه للناس لذلك كانوا يعقدون حلقات العلم في أيام الموسم، وفي المسجد الحرام، وفي المسجد النبوي , وفي المشاعر المقدسة , وغيرها. حتى وإن كانت أيام مكوثهم في هاتين المدينتين المقدستين محدودة بالموسم فعلى سبيل المثال عقد معاوية بن صالح الحضرمي أحد كبار العلماء الذين استوطنوا الأندلس حينما وصل للحج والزيارة مجالس للإملاء ولسماع الحديث في المدينتين الشريفتين , ولم تمنعه شواغله وقلّة مكوثه من بذل العلم لطلابه [1].

ومن فوائد وفود العلماء للحج والتقاء واجتماعهم في تلك الاماكن المقدسة، اطلاع بعضهم على أراء غيرهم ووقوفهم على القضايا العلمية والفقهية الخلافية، ومن ثمّ تصحيح المفاهيم ، ومعرفة الجوانب التي كانت تخفى على بعضهم تجاه البعض الآخر فالإمام الأوزاعي رحمه الله كان له رأيّ مختلفٌ في فقه الإمام أبي حنيفة النعمان ، وطريقته في استنباط الأحكام الفقهية وتأويلها، فلما جمع بينهما موسم الحج، وجلس أحدهما إلى الآخر وسمع كل منهما من أخيه ، وتحاورا وتناظرا ، فاتضح حينها للأوزاعي مبلغ علم أبي حنيفة ومكانته، وفضله , وبان له عظم ما يحمله من كثرة علم ، ونور عقل، فما كان منه إلاّ أن أوصى طلبة العلم بلزومه والأخذ عنه[2].

والإمام الأوزاعي نفسه كان أحد كبار العلماء في عصره وخاصة في بلاد الشام، وكان كثير الوفادة للحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي، وفي كل وفادة كان ينشر علمه، وينثر فوائده على طلبة العلم في المدينتين الشريفتين وغيرهما ، وكانت مجالسه وحلقاته تنعقد حيث حلّ الأمر الذي أتاح لطالبي العلم النقل والتعلم ويأسهم من ثم في تنشيط الحركة العلمية فيهما[3]. وكذلك عند التقاء أبي يوسف صاحب أبي حنيفة (ت182هـ) [4] بالإمام مالك في المدينة دار بينهما الحوار حول بعض مسائل الخلاف بين المالكية والأحناف وعرض كلّ واحدٍ ما عنده حتى اتضحت جوانب الصواب فيها ، فكان في ذلك فوائد جمّة , وانجلت أمور كانت غامضة عند الطرفين للحاضرين . وقال حينها أبو يوسف : لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت[5].

ولمّا حج إسماعيل بن عياش الحمصي (ت 798/182)، عام 177هـ/793م قصده طلبة العلم فجلس لهم وكتبوا عنه وأخذوا العلم[6]. وحج الوليد بن مسلم الدمشقي (ت 820/195م)، عام (194 ه) ، فتبعه طلبة العلم واجتمعوا عليه وأحاطوا به في مشعر منى، فأقام دروسه بها, فكتبوا عنه وسألوه في

---

(1) الخشني، قضاة قرطبة، ص 51، 54.

(2) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 338/13، ابن حجر الهيثمي، الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، علّق عليه محمد عاشق البرني، دار الأرقم (بيروت، د.ت) ، ص 68. الخشني ، أخبار الفقهاء والمحدثين ، ص 276.

(3) أبو زرعة الدمشقي، تاريخه، ص 383. ابن حنبل ، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وتخريج، وصيّ الله بن محمد عياض، دار الخاني (الرياض، 1422هـ/2001م)، 377/2، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 112/7، 119، 128، 130، الإمام ابن حنبل، سؤالات أبي داود للإمام أحمد ، ص 169.

(4) هو : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ، وكان فقيهاً كبيراً من أكبر أصحاب أبي حنيفة، وله منـزلة كبرى كبرى عند الخليفة هارون الرشد ، ابن كثير ، البداية والنهاية، 180/10-182.

(5) المصدر نفسه ، 180/10-181، القاضي عياض ، ترتيب المدارك، 71/1.

(6) ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال ، 379/3.

مسائل العلم. قال الحميدي ، «جئتُ في يوم الصدور، والوليد في مسجد منى، وعليه زحام كثير .. فجعلوا يسألونه، ويحدثهم[1]..»، ولما خرج إلى المدينة زائراً للمسجد النبوي عقد حلق العلم، وحدث الناس، فأخذوا عنه واستملوا منه[2].

وكانت لعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهما من نظرائهما حلق في المسجد الحرام عقب نهاية موسم الحج شاهدها معاوية بن صالح الحضرمي[3].

وكذلك حينما وفد الحافظ الثبت يحيى بن آدم القرشي الكوفي (ت 203 ه/818م) إلى مكة حاجاً أسرع إليه أهل الحديث من أهل مكة ومن الحجاج والمجاورين للأخذ عنه[4].

وعندما حج معاوية بن صالح الحضرمي (158هـ/802م)، - كما سبقت الإشارة – وانتهى من نسكه دخل المسجد الحرام، وقصد بعض حلق كبار العلماء وقتها كابن مهدي وغيره، يعرضُ ما معه من رواية أهل الشام , والناس لا يعرفونه – لأنه رحل من الشام إلى الأندلس وأمضى زمناً طويلاً هناك – فلما سألوه عن نفسه عرّف عن حاله استبقوا إليه وتحلّقوا حوله يسألونه أن يُحدثهم ، حتى انفض أهل الحلق العلمية كلهم ومعهم وجوه أهل العلم فكتبوا عنه في ذلك الموسم علماً كثيراً. كما يقول الخشني[5]، وكانت مجالسته لكبار العلماء الوافدين في ذلك الموسم سبباً لكثير من المذاكرة، والحوار العلمي المفيد الذي استفاد منه طلبة العلم الحاضرين[6]، وكان قبل وصوله إلى مكة ، نزل المدينة النبوية، فعقد بها حلقات العلم، وأملى فيها مجالس من حفظه على من حضر من أهل المدينة وغيرها[7].

وحينما وفد الفقيه أبو محمد عبدالله بن فرّوخ الفارسي المغربي (ت: 176هـ/792م) إلى المدينة النبوية، وكان أحد أبرز علماء المغرب وأفريقية في زمنه، أكرمه الإمام مالك وعرف له مكانته العلمية فأنابه للجلوس في حلقته العلمية، والتدريس، والإفتاء ، والردّ على السائلين[8].

ولمّا زار الإمام شعبة بن الحجاج (ت 160هـ/776م) المسجد النبوي بعد أدائه لشعائر حجه، جلس ودرّس ، واستفاد منه الحاضرون وقت ذاك، كما استفاد هو أيضاً من علماء المدينة المنورة[9].

وكذلك فعل عبدالرحمن بن مهدي (ت 813/198م) عندما زار المسجد النبوي بعد خروجه من مكة، فجالسَ مالكاً واستفاد منه ، كما كانت له حلقات علمية ، أملى ، وأسمع فيها الحديث[1].

---

(1) الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، 421/2، 422، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 213/9، ويقصد بالصدور ، أي النفرة من منى.
(2) الفسوي , المصدر نفسه 422/2, والذهبي، المصدر نفسه، 214/9.
(3) الخشني، قضاة قرطبة ، ص 53.
(4) ابن حنبل ، العلل ومعرفة الرجال، 299/1، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 522/9.
(5) قضاة قرطبة ، 53-54 ، وابن حنبل ، سؤالات أبي داود للإمام أحمد ، ص195.
(6) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، 521/7، الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر، د.ت ، 135/4.
(7) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ، 190/10.
(8) أبو بكر بن عبدالله بن محمد المالكي ، رياض النفوس، 679/1.
(9) الذهبي ، تايخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عبدالسلام بن مري، دار الكتاب العربي (بيروت ، 1407هـ /1987م)، وفيات (141-160)، وسير أعلام النبلاء 203/7-204.

وقد حجَّ المحدث محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني (ت 243هـ/857م) أكثر من مرة، وفيها كان يعقد حلقات رواية الحديث وغيره من ضروب العلم ، واستفاد منه طلبة العلم، واشتهر في مكة حتى سُمي بـ (شيخ الحرم في زمانه) [2].

وكان لوفود العلماء في مواسم الحج والعمرة على المدينتين المقدستين أبلغ الأثر في نشر العلم والاسهام في حركة التعليم فيهما خلال العصر العباسي الأول, ناهيك عن بثّ بعض العلوم والمعارف التي برع فيها بعض هؤلاء العلماء , ولم تكن معروفة على نطاق كبير في هاتين المدينتين الشريفتين وقت ذاك ، فكان فضل هؤلاء أنهم نشروا مثل هذه العلوم، وأذاعوها في المدينتين المقدستين , واجتمع إليهم المهتمون بها حين وصولهم إليهما، وأخذوا عنهم وسألوهم عمّا غمض عليهم منها. ومن هذه العلوم والمعارف علوم العربية، والشعر , وغريب الأثر والأخبار, وغيرها.

فمن هؤلاء الأصمعي (عبدالملك بن قريب ت 832/217م) أحد أبرز علماء اللغة والرواية، فحينما حج إلى مكة بذل علمه لمن يرغب، ولمن يسأل من أهل مكة والوافدين عليها[3]، ثم صنع كذلك لمّا خرج إلى المدينة النبوية حتى كان ممن استفاد من علم الأصمعي في غريب اللغة والرواية في الشعر والأخبار الإمام مالك بن أنس إمام أهل المدينة[4] حيث يقول يحيى بن معين : سمعت الأصمعي يقول: >سمع مني مالك بن أنس< [5].

وكان لمحمد بن حبيب (ت 859/245م) (صاحب كتاب المحبّر) عندما وفد إلى مكة في موسم الحج أثره في تعليم العربية وأخبار القدامى من العرب وأشعارهم [6].

وكانت للشعر مجالسه في أيام الموسم ، وكان له طلابه والحريصون على جمعه وتدوينه وسماعه، فعندما حج الشاعر محمد بن مناذر العدني (198هـ/813م) لزم المسجد الحرام، فكان المهتمون بالشعر والأخبار ، والنحو والغريب يجلسون إليه فيسألونه ويكتبون عنه، واستفادوا منه كثيراً[7].

---

(1) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 205/9 ، وابن أبي حاتم ، كتاب الجرح والتعديل، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، 257/1.

(2) الجندي ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، (صنعاء ، 1414هـ/1999م) 136/1، تقي الدين الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق وتعليق محمد عبدالقادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت ، 1419هـ/1998م) 422/2، الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، ص71، حاشية 2.

(3) القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، (بيروت ، 1406هـ/1986م، 314/2)0

(4) ابن قدامة المقدسي ، المنتقى من أخبار الأصعي، عُني بنشره وتحقيقه عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، (7) ، 1354هـ، ص 28، القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، 121/2، وما بعدها ، ط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرياض.

(5) المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق بشار عواد ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت، 1403هـ / 1983م) ، 385/18.

(6) القفطي ، انباه الرواة ، 121/3.

(7) ابن المعتز . طبقات الشعراء ، تحقيق عبدالستار فراج، ط4 (دار المعارف ، بيروت، 1981م)، ص 119. وأبو الفرج الاصفهاني ، الأغاني ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي)، 399/3.

والأمثلة كثيرة على الآثار العلمية التي نتجت عن وفود أعداد كبيرة من علماء الأقطار الإسلامية وقت ذاك، والتي أسهمت في النشاط العلمي، والثقافي خلال العصر العباسي الأول في المدينتين المقدستين خلال مواسم الحج والعمرة.

استنساخ المصنفات العلمية خلال مواسم الحج والزيارة وأثره

كان استنساخ مصنفات العلماء إحدى الوسائل التي أسهمت في تنشيط حركة العلم في المدينتين المقدستين خلال مواسم الحج والزيارة ،وكذلك في نشر العلوم خارجهما. إذ كان طلبة العلم يستنسخون كتب العلماء ، ويحملونها إلى ديارهم، ومن أشهر العلماء الذين استُنسخت كتبهم وحُملت إلى الآفاق ، كتب عبدالملك بن جريج، لأنه حمل علم التابعين وتابعيهم الذين نقلوا علم الصحابة ورواياتهم ولذلك قال ابن المديني عنه «ثم صار علم هؤلاء إلى أصحاب الأصناف ، فمن صنّف العلم من أهل مكة عبدالله بن جريج»[1].

ويُعدّ ابن جريج أول من صنّف بمكة ، قال بعض العلماء : «وهو وابن عروبة أول من صنّف كتب العلم ودوّنها بمكة»[2].

ومن أهل العلم الذين حُملت مصنفاتهم ، واستنسخت ونقلت إلى الآفاق ، سفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وابن أبي ذئب ، وجعفر الصادق , والإمام مالك بن أنس ، والإمام نافع المدني المقرئ المشهور ، ممن تقدمت الإشارة إليهم.

وكان لشعيرة الحج الفضل الأكبر في نقل ونشر علوم أهل المدينتين المقدستين إلى البلاد الإسلامية الأخرى ، فكان طلبة العلم من الغرب الإسلامي يحضرون الدروس ، ويكتبون ، ويستنسخون المصنفات العلمية وينقلونها إلى جموع المتعلمين في بلدانهم[3]. فيروى أنّ زيادا بن عبدالرحمن القرطبي (ت204/ 819م) وقيل الغازي بن قيس (ت 199هـ) هما أول من أدخل موطأ الإمام مالك وقراءة نافع إلى الأندلس ، بعد أن حجّا وزارا المسجد النبوي ، ودرسا وتلقيا العلم على الإمام مالك وغيره من علماء المدينة واستنسخا كتاب الموطأ، كما قرأ الغازي بن قيس على نافع بن أبي نعيم ، وجوّد القرآن عليه[4]. وكذلك كان أبو الحسن علي بن زياد العبسي أول من أدخله إلى بلاد المغرب الأقصى[5].

---

(1) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، 235/2 ، أبو زرعة الدمشي ، تاريخه ، 533/14، الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، (بيروت ، د.ت) 170/1 .

(2) وهو عالم البصرة وأحد حفاظها في عصره الامام سعيد بن أبي عروبة (ت 156ه). الذهبي ،تذكرة الحفاظ , 169/1-170, وسير أعلام النبلاء ، 327/6، 329 ,413.

(3) إبراهيم بوتشيش ، مساهمة المذهب المالكي في بناء جسور العلاقات الثقافية بين الحجاز وبلاد المغرب ، ص 336.

(4) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 323/9 ، وبوتشيش ، المرجع السابق ، ص 336.

(5) بوتشيش ، المرجع نفسه والصفحة.

وفي الوقت نفسه كانوا يحملون مصنفات بعض العلماء الموجودين بمكة أو الوافدين عليها للحج والعمرة بعد استنساخها عند خروجهم في الموسم إلى مكة والمدينة وذلك لعرضها على مصنفيها ,والقراءة عليهم [1].

وحينما خرج أبو زيد عبدالرحمن بن إبراهيم[2] حاجاً حمل معه كتاب «البيوع» للفقيه عيسى بن دينار الغافقي (ت 212هـ/827م) قال: «فأريته ابن الماجشون (ت 214هـ/ 829م) [3] وقرأته عليه فصلاً فصلاً »[4] . وكان بعضهم يُرسل بمسائل إلى الإمام مالك فيجيبه عليها [5].فأدّى ذلك إلى انتشار علم المغاربة عند المشارقة ,كما انتشر علم علماء المشرق في المغرب 0

وكذلك كان القاضي عبدالله بن غانم يرسلُ مع الحجاج بمسائل لعرضها على الإمام مالك ومن ثمّ يقضي بها ويُفتي وينشرها في القيروان[6].

وعندما يلتقي طلبة العلم في أيام الحج وبعده ببعض كبار العلماء كانوا يحرصون على ألا يعودوا إلى بلادهم إلاّ بعد أن يكتبوا ويستملوا عنهم. فروى مهران الرازي قال: «كتبت عن سفيان الثوري أصنافه، فضاع مني كتاب الديات ، فذكرت ذلك له، فقال إذا وجدتني خالياً فاذكر لي حتى أُملّه عليك. فحج ، فلما دخل مكة طاف بالبيت وسعى ثم اضطجع ، فآتيته فذكّرته، فجعل يُملي عليّ الكتاب ، باباً في إثر باب حتى أملاه جميعه من حفظه»[7].

وكتب ابن أبي سبرة (ت 797/162م) لابن جريج بعض ما عنده من الأحاديث عندما طلب إليه ذلك. قال الواقدي: «سمعت ابن ابي سبرة يقول : قال لي ابن جريج أكتب لي أحاديثا من أحاديثك جيادا ، فكتبت له ألف حديث، ثم دفعتها إليه»[8].

وعندما يخرج بعض العلماء من أقطار العالم الإسلامي إلى مكة والمدينة وقت ذاك كانوا يحملون معهم مصنفات الفقهاء المشهورين فيها فيفدون بها إلى مكة ، ويتبادلونها وينشرونها فيكون في ذلك إسهام في نشر العلم، وخدمة لهؤلاء الفقهاء بالتعريف بمذاهبهم وأقوالهم وآرائهم بين طلبة العلم في الموسم، ومن ذلك على سبيل المثال قيام الأعمش[9] باستكتاب مناسك الإمام أبي حنيفة والخروج بها معه عندما وفد حاجاً[1].

---

(1) الذهبي, تذكرة الحفاظ, 170/1. السنيدي: الحياة العلمية.ص,333.

(2) هو عبدالرحمن بن إبراهيم بن عيسى، رحل إلى مكة فأخذ عن علمائها ، وكان محدثاً فقيهاً توفي سنة 258هـ وابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق روحيه السويقي، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1417هـ)، ص213.

(3) عبدالملك بن عبدالعزيز الماجشون التميمي مولاهم، فقيه ومفتي المدينة في عصره، كان من أقرب تلاميذ الإمام مالك بن أنس (المزي، أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق بشار عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط2 (بيروت، 1403هـ/1983م) 358/18 وما بعدها .

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس . دار الكتب العلمية (بيروت ، 1417هـ/1997م) ص 262.

(5) بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 334.

(6) المالكي ، رياض النفوس ، 232/1-233.

(7) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 247/7.

(8) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، حـ/492 ، (ت 764/147م).

(9) هو الإمام المحدث سليمان بن مهران (الأعمش) ذكر الذهبي أنه شيخ المقرئين والمحدثين وترجم له

وكان لبعض الخلفاء العباسيين ، وأمراء الحج دور في نقل مصنفات علماء الحرمين والتعريف بها ونشرها خارج المدينتين المقدستين . ومن الأمثلة على ذلك قيام المهدي عندما قدم أميراً على حج عام 770/153م فدخل المدينة وطلب إلى الإمام مالك أن يُطلعه على الموطأ ، فلما وقف عليه أمر به فنُسخ ثم عورض على الأصل ، وحمله معه إلى العراق[2].

أثر المجاورين في النشاط العلمي

عرّف اللغويون المجاورة بأنها : المساكنة ، والمقاربة، والجار هو الذي يجاورك بيتاً بيتاً[3]، والمجاورة بمكة يُقصد بها النزول بجوار البيت والإقامة بجانبه المشرّف[4].

والمجاورة : الإعتكاف في المسجد [5]. قالوا : وأما المجاورة بمكة والمدينة فُيراد بها المقام مطلقاً غير ملتزمٍ بشرائط الاعتكاف الشرعي[6].

والمجاورون هم الذين يفارقون ديارهم وأوطانهم ، وينقطعون إلى السكنى بجوار الحرم ويمضون ساعات حياتهم داخل المسجد الحرام ، إنما يتلمسون جانباً روحياً ، فلا يُصبح شاغلهم في مكة والمسجد الحرام إلاّ أمران عبادة متواصلة، صلاة وتسبيحاً وتأملاً ، وطلباً للعلم ،تعلّماً وتدريساً وإفتاءً وتصنيفاً . ولذلك فقد كان لهؤلاء المجاورين أثرهم الكبير في النشاط العلمي ، بالمدينتين المقدستين ، ناهيك عن أثرهم على الحياتين الإقتصادية والاجتماعية في المجتمعين المكي والمدني 0

والمجاورة تاريخها قديم، فقد ارتحل إلى مكة منذ وقت مبكرُثلة من الصحابة رغبة في سكناها والمجاورة بها ، ولعلّ أشهر من جاور بها منهم رضي الله عنهم ، ابن عباس وجابر بن عبدالله وابن عمر وغيرهم[7]. ثم تتابع إليها عددٌ من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، وكذلك كان الحال في

طويلاً (سير أعلام النبلاء ، 6/226-248) .

(1) الشامي ، عقود الجمان ، ص 185.

(2) خليفة بن خياط ، كتاب التاريخ ، تحقيق أكرم العمري ، دار طيبة (الرياض ، 1405هـ/1985م)، ص 426، وابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب) تحقيق ، طه الزيني ، دار المعرفة، 151/2.

(3) الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعةمن المحققين، دار الهداية ، مادة (جور) ، 10/478-486.

(4) أبو زرعة الدمشقي ، تاريخه ، ص 251.الطبري ، محب الدين ، القرى لقاصد أم القرى ، تحقيق مصطفى السقا، ط3، دار الفكر، بيروت، 1403هـ /1993م، ص 662-663، الفاكهي ، محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر حديثه، تحقيق عبدالملك بن دهيش ، ط 1 (مكة ، 1407هـ/1986م، 2/287، 344، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، 3/311.

(5) الجوهري ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط3، دار العلم للملايين (بيروت ، 1404هـ - 1984م)، 2/617، ابن منظور ، لسان العرب ، مكتبة العلوم والحكم ، مادة جور.

(6) الزبيدي ، تاج العروس ، 10/486، مادة جور.

(7) أبو زرعة الدمشقي ، تاريخه، ص 251. الطبري ، محب الدين، القرى لقاصد القرى، تحقيق مصطفى السقا، دار الفكر، ط3، (بيروت ، 1403هـ/1993م)، ص 662-663، يحيى بن معين ، تاريخه (رواية الدوري)،3/83، أبو نعيم ، الحلية، 3/311، الفاكهي ، اخبار مكة ، 2/287، 344.

المدينة النبوية [1]. ثم أصبحت المجاورة ظاهرة دينية اجتماعية على مرّ العصور ، وما زالت إلى أن يشاء الله تعالى ، يستوي في ذلك قاصد مكة المشرفة ، والمدينة النبوية[2].

وقد أسهم المجاورون من العلماء بنصيب وافر في عقد مجالس العلم وحلقاته , وفي املاء مصنفاتهم العلمية ومروياتهم على مريديهم وطلابهم في مواسم الحج والعمرة خلال هذا العصر ، وكان لهم تأثيرهم الكبير في ذلك إذ كان طلبة العلم يخرجون إلى مكة والمدينة في مواسم الحج والزيارة ، للقاء هؤلاء العلماء المجاورين والأخذ عنهم، والإستماع لما يحملون من العلم ، وحضور حلقاتهم ودروسهم[3].

وكان بعض المجاورين يمكث بمكة والمدينة أشهراً ، وبعضهم بضع سنين، وآخرين تحين وفاتهم بها[4]. وكانت مكة تخصيصاً خلال العصر العباسي الأول تفخر على المدن الأخرى بوجود الكثير من كبار العلماء ، والعباد ، المجاورين بها ، ومن هؤلاء العلماء سفيان بن عيينة , وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض بن منصور (ت 187هـ /803) الذي جاور البيت العتيق فذاعت شهرته في العلم مقرونة بالزهد والإنصراف عن الدنيا حتى عظم في عيون الناس بجميع طبقاتهم، وقصده خلفاء بني العباس وخاصة هارون الرشيد، يسمعون منه، ويطلبون موعظته ونصحه[5].

ومنهم عمران بن مسلم المنُقري ، وكان مع مجاورته يُحدّث الناس وله حلقاته العلمية في منزله خاصة , أو في المسجد الحرام، وكان الطلاب الوافدون ومن عداهم يقصدون للاستفادة من علمه[6].

كما كان من كبار المجاورين أبوعبد الرحمن عبدالله بن يزيد المقرئ ، وكان أحد القراء المشهورين في عصره، وأسهم بجهد وافر في تعليم القراءات لطلابها سنين عديدة[7]. وكذلك كان لحفص بن سليمان بن المغيرة (ت 180/796) دوره في تعليم القراءات ، وخاصة قراءة عاصم بن أبي النجود، أحد القراء السبعة المشهورين[8].

---

(1) الطبري ، محب الدين ، القرى لقاصد أم القرى ، ص 663.
(2) الوراكلي ، حسن، مظاهر المساهمة الأندلسية في الدروس الحديثي بمكة، ص 205.
(3) ابن خير الإشبيلي ، فهرست ابن خير الإشبيلي ، دار الكتب العلمية، (بيروت ، 1419هـ/1998م) ص 108. سليمان، صالح كمال ، إمارة الحج في العصر العباسي خلال الفترة من 132هـ - 247ه، رسالة ماجستير مقدمة، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى ، 1408هـ/1988م، ص 80.
(4) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 494/5، 500، 501 ، وغيرها .
(5) النسفي ، القند في ذكر علماء سمرقند ، ص 502.
(6) ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، وضع حواشيه مجدي الشورى ، دار الكتب العلمية (بيروت ،1416هـ/1995م)، ص184.
(7) ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القرّاء، تحقيق برمسترار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1427هـ، 413/1، الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، تحقيق طيار قولاج ، استانبول ، 1416هـ/1995م، 358/1.
(8) ابن الجزري ، غاية النهاية ، 454/10، الحموي ، ياقوت، معجم الأدباء ، 226/3.

وممن جاور في مكة ، بعضاً من الوقت الإمام الأوزاعي ، وقد استفاد منه طلبة العلم، حتى إن الأمير عبدالصمد بن علي العباسي قام بزيارته وسفيان الثوري ، وكانا يسكنان داراً في مكة ، فلما قعد عندهما طلب من الثوري أن يُملي عليه كتابه في المناسك[1].

وممن جاور بمكة كذلك وكان له أثره في النشاط العلمي ، أبو الحسن العلاء بن عبدالجبار البصري الانصاري بالولاء (ت 212هـ/827هـ) وكان محدثاً ثقة, وقد حدّث بمكة حينما كان نزيلاً بها, وأخذ عنه جماعة منهم الامام البخاري , وغيره [2].

وكان بعض من يجاور بمكة يخرج إلى المدينة فيجاور المسجد النبوي الشريف ، ويمكث بها زمناً يطول وقد يقصر بحسب ما أراده من هذا الجوار ، فتارة يتلقى العلم وأخرى يبذل ما عنده من العلم لطلبته .ومنهم على سبيل المثال : عبدالرحمن بن مهدي فقد أقام بالمدينة زمناً طويلاً ، لازم فيها الإمام مالك . قال رحمه الله : «لزمت مالكاً حتى ملّني..» [3] . وكان مع ملازمته هذه له مجالس علمية يقعد فيها لطلبة العلم والحديث ، فيملي عليهم ، ويسمعون منه ويكتبون[4].

وجاور الإمام الأوزاعي بضع سنوات بالمدينة ، وكان خلال مجاورته يحضر حلقة الإمام مالك فيحصل بين الإمامين محاورات ونقاشات علمية، تدور حول بعض المسائل الخلافية[5].

واسحاق بن عيسى بن نجيح المعروف بابن الطباع (ت 215هـ/830م) نزل المدينة فجاور وكان حين جواره يتلقى العلم ، ويُعلم ، واستفاد منه طلبة العلم بها [6].

كما جاور بها بضع سنين الفقيه محمد بن الحسن الشيباني (189هـ/805م) وهو عمدة في مذهب أبي حنيفة النعمان، وكان حين نزوله به يأخذ عن الامام مالك ، وفي الوقت نفسه يبذل علمه لمن رغب من طلبة العلم في المدينة والوافدين عليها [7].

ومهما يكن من أمر فإن كتب التراجم وغيرها تشتمل على عدد كبير ممن نزل مكة أو المدينة فجاور بهما من علماء البلاد الإسلامية خلال العصر العباسي، وكان لهم الأثر الأكبر في الحركة العلمية , في المدينتين المقدستين خلال مواسم الحج والزيارة واستفاد منهم طلبة العلم الذين كانوا يخرجون للحج والزيارة وطلب العلم فيهما [8].

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 488/7 ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، 135/6، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 158/9-159، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 261/3.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى 501/5، ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ،185/8.العيني,بدر الدين. الدين. عمدة القاري شرح صحيح البخاري, ضبطه وصححه عبدالله محمود عمر, ج2(دار الكتب العلمية,بيروت,1421هـ, ص:196 (باب العلم).

(3) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 205/9.

(4) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، 157/1.

(5) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 130/7.

(6) عياض القاضي اليحصبي ، ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، حققه أحمد بكر محمود، دار الحياة، بيروت ، 1387هـ، 420/2.

(7) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 173/2-174، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 135/9.

(8) ابن عبدالبر ، جامع بيان العلم، ص 465.

الخاتمة:

هدف هذا العرض المختصر للنشاط العلمي في الحرمين الشريفين خلال مواسم الحج والزيارة في العصر العباسي الأول الى ابراز بعضٍ من النتائج والاضاءات ومنها:

- **الدور الذي نهضت به مواسم الحج والزيارة في النشاط العلمي والمعرفي المتعدد في المدينتين المقدستين من خلال حلقات العلم في المسجدين الشريفين , وفي المشاعر الحرام. في العصر العباسي الأول .**
- **تعدد حلقات العلم ومجالسه في الحرمين في علومٍ شتى نظراً لوجود عددٍ كبير من العلم والمتخصصين في فنونٍ من العلم والمعارف, الأمر الّذي أتاح لطلبة العلم ارتياد هذه الحلقات, والتنقل بين العلماء ومشايخه , ومن ثمّ ازدياد الحصيلة العلمية في عدد من المعارف والعلوم.**
- **كان الحديث الشريف من أهم العلوم التي حرص طلبة العلم على أخذه وتلقيه نظراً لأهميته في الشريعة الاسلامية , ولكونه على رأس قائمة العلوم الدينية بعد القرآن الكريم, ولوجود عدد كبير من مشاهير المحدثين والمسندين.**
- **وضح أثر الوافدين من العلماء والمجاورين في النشاط العلمي بالمدينتين المقدستين ,إذ أتاحت هذه المواسم المباركة أن يفد علماء المسلمين من البلاد الاسلامية وقت ذاك لغرض أداء النسك والزيارة , وأن يبذلوا علمهم لمن يطلبه, وتعقد مجالس المحاورات العلمية بين شتى العلماء بمشاربهم ومذاهبهم المختلفة, وأن يعرض كلٌ منهم علمه وما يحفظه من الاحاديث. الأمر الذي كان فرصةً عظيمة لطلبة العلم, وللحراك العلمي والفكري في المدينتين المقدستين.**

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر:**

1- **ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، تحقيق محمد خوري ، دار المعرفة، بيروت ، 1405هـ / 1985م.**
2- **ابن حبان ، مشاهير علما الأمصار ، وضع حواشيه مجدي الشورى ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1416هـ / 1995م.**

3- ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، 1404هـ / 1984م.
4- ابن حجر الهيثمي ، الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، علق عليه ، محمد عاشق البرني ، دار الأرقم ، بيروت.
5- ابن حنبل ، العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق وتخريج وضيء الله محمد عباس ، دار الخاني، ط2 ، الرياض ، 1422هـ/2000م.
6- ابن حنبل ، سؤالات أبي داود للإمام أحمد بن حنبل ، في جرح الرواة وتعديلهم 164-241هـ، دراسة وتحقيق زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم، (المدينة المنورة، 1414هـ / 1994م).
7- ابن خلكان، وفيات الأعيان ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، 1970م.
8- ابن خير الاشبيلي ، فهرست ابن خير ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1419هـ / 1998خم.
9- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، القسم المتتم ، تحقيق زايد منصور ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، 1403هـ.
10- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.
11- ابن عبدالبر ، جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ/1978م .
12- ابن عدي ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1409هـ / 1988م.
13- ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب) تحقيق طه الزيني ، دار المعرفة، بيروت، د.ت .
14- ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم الدينوري ، الإمامة والسياسة ، تحقيق : طه الزيني، دار المعرفة ، د.ت ، د.م.
15- ابن كثير ، البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، د.ت.
16- ابن منظور ، لسان العرب ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة.
17- أبو القاسم الزجاجي ، مجالس العلماء ، تحقيق عبدالسلام ، هارون ، مكتب الخانجي، القاهرة، 1403هـ / 1983م.
18- أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ / 1988م.
19- البيهقي ، أحمد بن الحسين ، مناقب الشافعي ، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د.ت.
20- تقي الدين الفاسي العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق وتعليق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1419هـ/1998م.
21- الجوهري الصحاح ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1404 - 1984م.
22- الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، خرج أحاديثه وعلّق عليه، أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضه، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1996م.

23- الخطيب البغدادي ، الرحلة في طلب الحديث ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ.
24- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ت.
25- الخليلي ، الخليل بن أحمد القزويني ، الإرشاد في معرفة علماء الحديث (تجزئة السلفي، دراسة وتخريج ، محمد سعيد إدريس) مكتبة الرشد الرياض ، 1409هـ.
26- الداوودي ، طبقات المفسرين ، تحقيق علي عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة، 1392هـ.
27- الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1411هـ - 1990م.
28- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد . سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 1422هـ/1992م.
29- الذهبي ، ميزان الإعتدال في نقد الرجال ، تحقيق ، تحقيق علي محمد البجادي، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.
30- الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية.
31- الزجاجي ، مجالس العلماء ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الرفاعي ، الرياض، 1403هـ/1983م.
32- السمعاني ، أدب الإملاء والاستملاء ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ/1981م.
33- السمعاني ، محمد بن منصور التميمي ، أدب الإملاء والاستملاء ، دار الكتب العلية، بيروت، 1401هـ/1981م.
34- الشيرازي ، إبراهيم بن علي ، طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عباس ، ط2، دار الرائد العربي، بيروت ، 1401هـ - 1981م.
35- الشيرازي ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ، طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1401هـ/1981م.
36- الفاكهي ، محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق ، عبدالملك بن دهيش، دار حضر ، ط(بيروت ، 1414هـ).
37- الفسوي ، يعقوب بن سفيان ، كتاب المعرفة التاريخ ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة ، ط2، بيروت (1400هـ/1981م).
38- القاضي عياض اليحصبي ، ترتيب المدارك ، ط: وزارة الأوقاف المغربيبة، المغرب.
39- القاضي عياض اليحصبي ، ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، حققه أحمد بكر محمود ، دار الحياة ، بيروت ، 1387هـ.
40- القزويني ، التدوين في أخبار قزوين ، نشرته مصور ، دار الرشد عن طبعة حيدر آباد، الرياض ، 1414هـ.
41- محب الدين الطبري ، القرى لقاصد أم القرى . تحقيق مصطفى السقا، ط3، دار الفكر، بيروت، 1403هـ.

42- محمد بن محمد بن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق برجستزار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1427هـ - 2006م.
43- المزي، يوسف بن الزكي ، تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد ، مؤسسة الرسالة، 1400هـ/1980م.
44- اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي ، ط2 ، القاهرة :1413هـ/1993م.
45- يحيى ين معين ، التاريخ، تحقيق عبدالله أحمد سن ، دار القلم، بيروت.

المراجع :

1- **إبراهيم بن عبدالعزيز الجميح ، النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي (41-132هـ) ، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، 1427هـ.**

2- **أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،د.ت .**

3- **حسن الوراكلي ، مظاهر المساهمة الأندلسية في الدرس الحديثي بمكة المكرمة ، بحث نشور ضمن أبحاث ندوة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية ، 1426هـ.**

4- **سزكين ، تاريخ التراث ، ط: جامعة الإمام ، الرياض.**

5- **سعد موسى الموسى ، تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية، خلال القرن الثاني الهجري، دار القاسم ، الرياض ، 1428هـ.**

6- **سليمان صالح كمال ، إمارة الحج في العصر العباسي خلال الفترة من 132-247، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى 1408هـ/1988م.**

7- **السنيدي ، عبدالعزيز ، الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ط1، الرياض ، 1424هـ - 2003م.**